بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 17 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:14\12\2022 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال الكلام في الآية الخامسة ﴿إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُورا﴾.

اتضح لدينا في البحث السابق جملة من التفاوت والاختلاف بين هذه الآية المرتبطة بالوعد والآية السابقة المرتبطة بالوعيد، وبقي لدينا من البحث السابق هذا الاختلاف.

في آية الوعيد عبر بالعنوان ذاته الذي تقدم في التصنيف ﴿إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (3) إِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِين ...﴾ والكافر هو الكفور غاية الأمر هذه صيغة مبالغة.

بينما في آية الوعد عبر بالأبرار، إذا مشى على التصنيف كان ينبغي أن يقول إن الشاكرين لا إنّ الأبرار، فما هو السر في تغيير الأسلوب؟

لما كانت هذه الآية المباركة واردة في مقام التشويق، فكان الأنسب أن يذكر مرتبة عليا من مراتب الصنف، ليس كل شاكر يصل إلى مقام الأبرار، لكن كل من يصل إلى مقام الأبرار هو شاكر.

هذا النظير لو كنت تعرف الاستعداد الذهني لابنك في المدرسة، وتريد أن تشوقه، وقد تكون تعرف بأنه لن يصل إلى درجة الأوائل، لكن مع ذلك في مقام التشويق لا تذكر له الأواسط، وإنما تذكر له الأوائل، إذا أخذت هذه الدرجة في امتحان الثانوية تستطيع أن تدخل في أفضل جامعة وتستطيع أن تأخذ ذلك الاختصاص المهم إلى آخره، فتشوقه بالمرتبة العليا.

فلما كانت آية الشريفة بصدد التشويق والحث والترغيب ناسب أن يذكر المرتبة العليا، وما يتفرع على هذه المرتبة من القصة المرتبطة بأهل البيت عليهم السلام لا أن تشوق بمرتبة دنيا أو تشوق على نحو الإجمال؛ لأنه ليس الغرض التهويل والتخويف كما كان في آية الوعيد كما شرحت ذلك مفصلاً.

هذا هو السر في تغيير هذا العنوان عن العنوان الوارد في مقام التصنيف.

بعد ذلك لابد أن نقف على مفهوم الأبرار، هذا المفهوم ورد في القرآن الكريم في أكثر من آية وقابلته الآيات بمفهوم الفجار، البر يقابل الفاجر، كما في سورة الانفطار، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[1] وهذه من المقابلات الكاملة عنواناً وعاقبة. وكذلك في سورة المطففين، هناك فاصل طويل عندما يذكر حكم هؤلاء ثم بعد ذلك يأتي بحكم هؤلاء فيقابل بين الفجار وبين الأبرار.

لكن في الواقع ليس أحد المفهومين أوضح من المفهوم الآخر كي يكون أحدهما معرفاً للآخر، فإن من يعرف الأبرار يعرف الفجار ومن الفجار يعرف الأبرار، ومن لا يعرف أحدهما لا يعرف الآخر. فإذا أردنا أن نحدد المدلول اللغوي لهذه الكلمة فهذا واضح، فهذه الكلمة مأخوذة من حروف ثلاثة برر، وذكر جملة من علماء اللغة أن هذه الكلمة تدل على التوسع، ولذا تطلق على البر في قبال البحر، وكذلك تطلق على التوسع في فعل الخير، البر هو نوع من التوسع في فعل الخير، ففيه وإن لم يكن من باب الصيغ المبالغة، ولكن فيه نوع من المبالغة تدل عليه المادة.

تارة نستفيد المبالغة من الصيغة مثل فعول وتارة أخرى نستفيد المبالغة من المادة، نظير الأمر والوجوب، تارة نستفيد الوجوب من الصيغة كصيغة افعل مع قطع النظر عن المادة، وتارة نستفيد الوجوب من المادة ذاتها، كما لو قلت أوجبت عليك كذا، فهذا المادة دلت على الوجوب.

وعلى كل تقدير: هذه الكلمة في أصل جذرها اللغوي تدل على نوع من التوسع، فالتوسع في فعل الخيرات يسمى بر، وهذا يشمل الأمور الاعتقادية وأفعال الجوانح، ويشمل الأمور العملية وأفعال الجوارح. لذا في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وآله عندما سئل عن البر، قرأ قوله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ [ذكر أمور اعتقادية] وَآتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقابِ وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ

[1] الانفطار: 13 - 14

وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ [ذكر أمور عملية] أُولئِكَ الَّذينَ صَدَقُوا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُون﴾[2] فكل ذلك مصداق للبر والتوسع في الخير. كذلك في سورة ص باعتبار أن الأمور تعرف بأضدادها، قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِدينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقينَ كَالْفُجَّار﴾[3] وبما أن الفجار يقابل الأبرار فإذاً الأبرار هم المتقون، على تمام المستويات.

وهذه الحقيقة نشهدها كثيراً في الأخبار والروايات، فعن أمير المؤمنين عليه السلام يعتبر أن ملازمة الصدق والأمانة تجعل الإنسان من الأبرار، ففي الخبر (الْزَمِ الصِّدْقَ وَالْأَمَانَةَ فَإِنَّهُمَا سَجِيَّةُ الْأَبْرَار)[4] وليس كل صادق ولو لمرة واحدة أو أميناً ولو لمرة واحدة، بل لابد من ملازمة ذلك، ملازمة الصدق والأمانة، الصدق في القول، الصدق في السلوك، حفظ الأمانة، أمانة الناس وعهد الله سبحانه وتعالى الذي كتبه علينا، فهذا يجعل الإنسان من الأبرار، وهذه هي التقوى.

الوفاء بما يترتب على الإنسان من التزامات أيضاً يجعل الإنسان من الأبرار، ففي خبر آخر (بِحُسْنِ الْوَفَاءِ يُعْرَفُ الْأَبْرَار)[5].

وفي رواية ثالثة تذكر جملة من السجايا التي تندرج تحت التقوى العملية لتدلل على أن هذه هي الأبرار كما في قوله عليه السلام: (إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْعِفَّةَ مِنْ خَلَائِقِ الْإِيمَانِ وَإِنَّهُمَا لَسَجِيَّةُ الْأَحْرَارِ وَشِيمَةُ الْأَبْرَار)[6].

وفي بعض الروايات جعلت الصبر والقدرة على التحمل من خصائص الأبرار، وإلى ذلك تشير الآية – التي ذكرناها قبل قليل في سورة البقرة[7]– كما تقول الآية حيث ذكرت البأساء والضراء، القدرة على التحمل، قدرة الإنسان على مواجهة الموانع، مواجهة المصائب، مواجهة الابتلاءات تجعله من الأبرار، ففي الخبر عن أمير المؤمنين عليه السلام (طُولُ الِاصْطِبَارِ مِنْ شِيَمِ الْأَبْرَار)[8] كما نلاحظ في هذه الروايات

---

[2] البقرة: 177
[3] ص: 28
[4] تصنيف غرر الحكم و درر الكلم، ص: 217
[5] تصنيف غرر الحكم و درر الكلم، ص: 251
[6] تصنيف غرر الحكم و درر الكلم، ص: 257
[7] البقرة: 177
[8] تصنيف غرر الحكم و درر الكلم، ص: 281

فيها تأكيد على معنى التوسع، المعنى اللغوي ليس خافياً، ليس مجرد الصبر، بل طول الاصطبار، وفي خبر آخر (إِنْ صَبَرْتَ أَدْرَكْتَ بِصَبْرِكَ مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ وَإِنْ جَزِعْتَ أَوْرَدَكَ جَزَعُكَ عَذَابَ النَّار)[9].

وفي بعض الروايات أيضاً تنص على أنه من شيم الأبرار ومن خصالهم الواضحة والثابتة الإيثار التي تستبطن شيئاً من الصبر؛ لأن الإيثار إعطاء الغير ما تحتاج إليه، فأنت تصبر على حاجتك.

هذه العناوين وهذه اللوازم الثابتة للأبرار لا يقصد منها أننا نريد أن نشرح المعنى اللغوي، وإلا المعنى اللغوي للأبرار مأخوذ من البِر ومن البَر صفة مشبهة، فالمعنى اللغوي لا إشكال فيه. وإنما نريد أن نعين المصداق، مصاديق الأبرار هم من يتصفون بتلك الصفات، وهي أعلى مراتب الشكر، فهؤلاء لهم هذا الثواب الذي سوف نتكلم عنه إن شاء الله.

[9] تصنيف غرر الحكم و درر الكلم، ص: 284